

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

فسأله أبو الأسود عنه فقال : هذه لغة لم تَبْلُغْكَ .

فقال له : يا بن أخي إنه لا خيرَ لك فيما لم يَبْلُغْني . فعرَّـفَه بِلُطْف أن الذي تكلِّـم به مُخْتَلَق . وخِلَـة أخرى : إنه لم يبلغنا أن قوماً من العرب في زمانٍ يقاربُ زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مُصْطَلَحين عليه فكنا نستدلُّ بذلك على اصطلاحٍ قد كان قبلَهم .

وقد كان في الصحابة رضي الله عنهم - وهم البُلَـغاءُ والفصحاءُ - من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاءَ به وما عَـلَمَناهم اصطلاحوا على اختراع لغة أو إحْدَاث لفظةٍ لم تتقدمهم .

ومعلوم أن حوادثَ العالم لا تنقضي إلاَّ بانقضاءه ولا تزولُ إلاَّ بزواله وفي كل ذلك دليلٌ على صحَّة ما ذهبَنا إليه من هذا الباب .

هذا كله كلام ابن فارس وكان من أهل السنة .

(رأي ابن جني) .

وقال ابنُ جني في الخصائص وكان هو وشيخه أبو عليّ الفارسي مُعْتَزِلِيَّيْن : باب القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح .

هذا موضعٌ مُخَوِّج إلى فَضْل تأمُّل غير أن أَكْثَرَ أهل النظر على أن أصلَ اللغة إنما هو تواضعٌ واصطلاح (لا) وَحْيِيٌّ ولا توقيفٌ إلاَّ أن أبا علي (رحمه الله) قال لي يوماً : هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : (وَاعْلَمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) وهذا لا يتناول موضعَ الخلاف وذلك أنه قد يجوز أن يكونَ تأويلُهُ : أَقْدَرَ آدَمَ على أنْ واضَعَ عليها .

وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا مَحَالَة فإذا كان ذلك مُخْتَمَلاً غير مُسْتَنَدٍ كَر سَقَط الاستدلال به .

وقد كان أبو علي (رحمه الله) أيضاً قال به في بعض كلامه وهذا أيضاً رأي أبي الحسن على أنه لم يمنعُ قولَ مَنْ قال إنها تواضعٌ منه وعلى أنه قد فُـسِّر هذا بأن قيل : إنه تعالى علِّـمَ آدَمَ أسماءَ جميع المخلوقات بجميع اللِّـغات : العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرُّومية وغير ذلك من (سائر اللغات) فكان آدَمُ وولَدُهُ يتكلمون بها . ثم إن ولدَه تفرَّـقوا في